الدور الروسي شرق المتوسط من التنافس والتوازن الى التاثير والنفوذ

The Russian role in the eastern Mediterranean: from competition and balance to influence and hegeomony

أ.م.د.باقر جواد كاظم* Assestant Prof, Dr. Baqer Jawad Kadhim

الملخص :

منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، خلال السنوات الأخيرة شهدت تطورات وتغييرات متسارعة في نمط وطبيعة العلاقات بين القوى المؤثرة في معادلتها الأمنية سواء حول المكانة والنفوذ، أو حول العديد من القضايا الخلافية ذات الصلة خاصةً بعد الإكتشافات المتتالية والمهمة لمصادر الطاقة فيها من جهة، وتبني بعض القوى لأدوار جديدة تسعى من خلالها الحصول على مكانة تتناسب مع طموحها في التاثير الإقليمي من جهة أخرى. ومن بين الجهات الفاعلة المؤدية دوراً مهماً في هذه المنطقة يتزايد ثقل التوجه الروسي، التي تعمل جاهدة على تأدية دوراً محورياً في تفاعلاتها، وأن تكون ضمن معادلة التفاعل التي تحدد قواعد اللعبة ومستقبل هذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: النفوذ، التأثير، روسيا، التنافس ، البيئة الأمنية

Abstract:

The eastern Mediterranean region, in recent years, has witnessed rapid developments and changes in the pattern and nature of relations between the influential forces in its security equation, whether about prestige and influence, or on many related contentious issues, especially after successive and important discoveries of its energy sources on the one hand, and the adoption of some forces On the other hand, it seeks new roles through which it seeks to obtain a position commensurate with its ambitions in regional influence. Among the actors playing an important role in this region, the weight of the Russian trend is increasing, which is working hard to play a pivotal role in its

* تخصص دراسات إستراتيجية_ رئاسة الوزراء_ drbaqr@hotmail.com
Presidency of the Council of the Ministers

interactions, and to be within the interaction equation that determines the rules of the game and the future of this region.

Key words; hegeomony, influence, competition, Russia, security environment.

المقدمة:

روسيا عمدت الى تبني توجهات جديدة نحو منطقة شرق المتوسط، ترتكز وفق قناعة مؤداها ان هذه المنطقة هي نقطة إرتكاز لأي دور محتمل للقوى الأخرى وبالأخص الولايات المتحدة، لذا تسعى روسيا في هذا المجال بالعمل على تغيير موازين القوى الموجودة في تفاعلات المنطقة المختلفة سبيلاً لأن لا تكون تلك الأدوار مهددة لمكانتها في المنطقة.

كان التدخل الروسي في سوريا عام 2015 بمثابة المرحلة الجديدة لتأدية دور أوسع في شؤون تفاعلات المنطقة، ما مكنها بحيازة مكانة مركزية متزايدة في معادلة التوازن والتنافس فيها، سعت من خلاله الى تعزيز توجهها بما يمكنها من تادية دور جديد سمته التأثير والنفوذ.

الاندفاع الروسي المتنامى إلى منطقة شرق المتوسط ، هو أكثر من مجرد مسألة طموح للاعتراف بها كلاعب عالمي، ولكنه نتاج متطلبات الأمن القومي الدائمة ، وتصورات التهديد ، والمصالح الاقتصادية لإستراتيجيتها بصورة عامة، والذي حتم عليها من إعادة صياغة دورها في المنطقة للتكون قاعدة للإنطلاق نحو التأثير في شؤون التفاعلات الإقليمية.

أهمية البحث: أهمية الموضوع تكمن بمعالجته طبيعة التوجهات الجديدة لروسيا في ظل بيئة إقليمية تشهد المزيد من الأدوار المتصاعدة لقوى من داخل وخارج المنطقة من جهة، وتنامي العديد القضايا والصراعات الخلافية والتي تلقي بضلالها على إستقرار شؤون تفاعلاتها المختلفة من جهة أخرى، فضلاً عن المسعى الروسي لتأدية دور مهم يتجاوز مسألة التنافس والتوازن نحو التأثير والنفوذ الإقليمي.

مشكلة البحث: تبني توجهات جديدة من قبل روسيا، وسعيها لحيازة مكانة مهمة في شؤون تفاعلات المنطقة بما يمكنها من التحكم بمعادلة التأثير والنفوذ فيها، يلقي بالعديد من الصعوبات في هذه الدراسة ويدفع بنا لصياغة سؤال مركزي ينطلق البحث للإجابة عنه وهو : ((ما هي أبرز توجهات الدور الروسي في منطقة شرق المتوسط؟))، ولأجل ذلك سيحاول الباحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

1- ما هي ملامح طبيعة التوجهات الروسية الراهنة في المنطقة؟

2- ما هي أهم أهداف التوجه الروسي في المنطقة؟

3- ما هي أبرز القضايا الموجهة للدور الروسي في تفاعلات المنطقة؟

فرضية البحث: سبيلاً للإجابة على الأسئلة سابقة الذكر عمدت الدراسة الى تبني الفرضية الآتية:

" توجهات الدور الروسي نحو منطقة شرق المتوسط تتناسب مع سعيها لتبوء مكانة إقليمية مهمة في تفاعلاتها بما يضمن لها التأثير والنفوذ في معادلة علاقة القوى الفاعلة لها".

منهجية البحث: إعتمد الباحث للوصول الى غايته على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة مستجدات التوجه الروسي في المنطقة ومآلاته المختلفة، ومعرفة مسارات هذه التوجهات في ظل بيئة أمنية غير مستقرة.

هيكلية البحث: إقتضت طبيعة البحث تقسيمه الى ثلاثة مطالب فضلاً عن المقدمة والخاتمة، إذ تم في المبحث الأول دراسة طبيعة التوجهات الروسية ومساراتها الراهنة في شؤون تفاعلات منطقة شرق المتوسط، بينما درسنا في المطلب الثاني أهم الأهداف التي يتوخى الدور الروسي إنجازها في توجهاته، بينما عمدنا الى بيان أهم القضايا الموجهة للدور الروسي في المنطقة في المطلب الثالث.

المطلب الأول: التوجه الروسي حيال المنطقة:

التوجه الروسي نحو منطقة شرق المتوسط ليس بالجديد، إذ كانت الحركة الروسية سابقاً ترتكز على دعم الأنظمة العربية المعادية للدول الغربية، خاصة في مصر وسوريا والجزائر وليبيا، ومع تراجع الدور السوفيتي تدريجياً إلى أن أضمحل عقب إنهياره في أواخر ثمانينات القرن الماضي، ما لبث أن عاد عاد الأهتمام الروسي بمنطقة البحر المتوسط مرة أخرى برؤية لا تقف عن كون المنطقة تعتبر مركزية فحسب، بل وتعتبرها جوهرية لحركتها العالمية، وهو ما تزامن مع دعم الولايات المتحدة لموجة الانتفاضات الشعبية في منطقة الشرق الأوسط عام 2011 وما بعدها، والتي اطاحت بدول تعتبر حليفة للروس(ليبيا، اليمن)، فضلاً عن المشاكل التي تواجهها سوريا منذ فترة ليست بالقصيرة، ما مهد الطريق أمام روسيا لإعادة صياغة حساباتها الإستراتيجية من جديد ،، ورسم خريطة لتوجهها نحو المنطقة تدشيناً لتوسع نفوذها في حوض البحر الأبيض المتوسط الذي تعده منطقة نفوذ لا يمكن تركها ضمن منطق حركتها العالمية[1].

(1) Ahmed Eleiba, New security dynamics in the Eastern Mediterranean, ahramonlinem, January02,2020.

يُعد التوجه الروسي في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط امتدادًا لسياستها تجاه عموم المنطقة الممتدة نحو شمال أفريقيا والشرق الأوسط فضلاً عن سعيها لمواجهة التحديات التي يواجهونها في منطقة البحر الأسود[1]، جنباً الى كونها جزء لا يتجزأ من استراتيجيتها للمسرح الأوروبي الأوسع، والذي طالما كان الساحة الرئيسية لسياستها الخارجية، خاصةً بعد المساعي المحمومة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلف الناتو للتوسع في منطقة شرق أوربا، وهو بمجمله يُنظر إليه (وفق وجهة النظر الروسية) بكونه مسعى دؤوب لتعويض التراجع الذي شهدته مكانتها خلال ربع القرن الذي أعقب نهاية الحرب الباردة إقليمياً وعالمياً، ومن ثم فهي في توجهها هذا تعمد إلى فكّ العزلة الجغرافيّة عنها، والنّفاذ إلى البحر الأبيض المتوسّط، ومن بعده إلى الشّرق الأوسط، وهذا المنفذ الاستراتيجي يبقى اليوم أساسيّا بالنّسبة إلى المصالح الرّوسيّة في المنطقة، وهو ما ينسجم مع قناعة الكثير من القوى الفاعلة بأهمية حيازة موطئ قدم فيها لضمان مصالحهم في الشرق الأوسط[2].

تغير بوصلة السياسة الأمريكية منذ عام 2012 نحو شرق آسيا، إنعكس في صياغة روسيا لرؤيتهم لعموم المنطقة من منظار آخر سمته الأساس تكثيف تواجدهم في تفاعلات المنطقة، والتركيز عليها ضمن حسابات إستراتيجية لا تقف عند تأدية دور مؤثر بعيداً عن سياسات التنافس والتوازن التي كانت سائدة في السابق فحسب، بل وتتعداه إلى التاثير والنفوذ.

ترتكز التوجهات الروسية وفق قناعة مؤداها ان هذه المنطقة هي نقطة إرتكاز لأي دور محتمل للقوى الأخرى وبالأخص الولايات المتحدة، لذا تعتزم روسيا ووفقاً لهذه القناعة بالعمل على تغيير موازين القوى الموجودة فيها سبيلاً لأن لا تكون تلك الأدوار مهددة لمكانتها في المنطقة[3]، فضلاً عن ترسيخ مصالحها فيها بما يؤمن فاعليتها مع باقي القوى المؤثرة في المنطقة، وهو ما أطلق عليه البعض بكونه يندرج ضمن

---

https://english.ahram.org.eg/NewsContent/44/0/358778/Analysis/New-security-dynamics-in-the-Eastern-Mediterranean.aspx

(1) Andrey S. Makarychev, Russia in the Mediterranean Region: (Re)sources of Influence, (The European Institute of the Mediterranean, Barcelona), may 2020.

(2) James Jay Carafano, US Foreign policy in the medetiranean region and how it affects other Actors, IEMed Mediterranean Yearbook 2019, (The European Institute of the Mediterranean, Barcelona), 2020,p.228.

(3) راشد باسم، المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي، سلسلة أوراق، 2013، ص،30.

إطار (سياسة القوة التعديلية)[1]، والتي يُراد من وراءها إستعادة مكانتها والإضطلاع بدور عالمي جديد، ومن ثم فإن توجهاتهم في المنطقة تهدف وفقاً لرؤيتهم لتعزيز سياستهم في عموم المنطقة، وإستعادة موقع متميز في مواجهة الاتحاد الأوروبي، وفق استراتيجية اعتبرها البعض بكونها (إستراتيجية البقاء الدائم)، وتكريس نفوذها الذي يصاحبه تعزيز تواجدها العسكري انطلاقاً من سوريا وغيرها من مناطق النفوذ، ومن ثم هذا التوجه لا يخرج عن كونه لمواجهة الدور الامريكي، وإضعاف الناتو، والحفاظ على مكانة متميزة في المنطقة بوصفها بوابة الإنفتاح الأساسية لها خارج مجالها الأوراسي.

عُدَ التوجه الروسي في المنطقة أحد الأسباب الرئيسية لزيادة التوترات في منطقة تعاني بالأصل من ضغط إعادة رسم الخريطة السياسية والتحولات في ميزان القوى التقليدي لشؤون تفاعلاتها[2] بسبب من المسارات المختلفة لحركة القوى الفاعلة التقليدية منها والصاعدة، التي رأت في ذلك التوجه مسعىً للهيمنة على تفاعلات بيئة المنطقة التي تختلف في ديناميكياتها الأمنية تمامًا عما كانت عليه بعد الحرب الباردة، إذ كانت تعتبر "منطقة تأثير للناتو"[3] من الناحية الأمنية، لكن هذا المنظور لم يعد حاضرًا في ظل ظهور لاعبين إقليميين ودوليين جدد فيها يهددون نفوذ القوى القائمة ويخلقون صيغ أمنية جديدة لتفاعلات المنطقة[4].

تتعامل روسيا مع منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط كمنطقة لتنافس محتمل مع الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لضمان مكانتها في تفاعلاتها المختلفة، خاصةً في مجال أمن هذه المنطقة واستخراج ونقل موارد الطاقة إلى أوروبا من الخليج العربي وروسيا نفسها، ما دفعها لتعزيز الاتصالات السياسية مع

---

[1] القوة التعديلية هي التي لا تقبل بالوضع الراهن دولياً وإقليمياً، تعمل على تعزيز دورها على حساب الآخرين وإعادة صياغة تفاعلات منطقة معينة بما يعزز من مكانتها فيها، وقيل بكونها ينظر في ذلك:

– حياة النفوس يوسفي، االستراتيجية الروسية في منطقة المتوسط من منظور تعديلي، مذكرة تكميلية لنيل شهادة الماستر، (جامعة العربي بن مهيدي–أم البواقي–، كلية الحقوق و العلوم السياسية)، 2018، ص ص ، 29، 56–62.

[2] Andreas Stergiou, Russian policy in the eastern Mediterranean and the implications for EU external action, (The European Union Institute for Security Studies), July 25,2021.

[3] Ronald H. Linden, The New Sea People: China in the Mediterranean, IAI Papers, (Istituto Affari Internazionali, milan), No.18, July14, 2018

[4] Ahmed Eleiba, New security dynamics in the Eastern Mediterranean, Thursday 2 Jan 2020.

https://english.ahram.org.eg/NewsContentP/44/358778/Analysis/New-security-dynamics-in-the-Eastern-Mediterranean.aspx

دول المنطقة على الرغم من بعض المصالح المتضاربة معها [1]، من خلال إتباع سياسة إختراق إستراتيجي وإقتصادي بطيء ولكن ثابت في بلدان المنطقة، سبيلاً لقبول هذا التوجه بعيداً عن إحتمالات عدهُ مهدداً لتلك الدول ومصالحها المختلفة، وخاصة تركيا واليونان وقبرص، مما دفع البعض لإعتبار هذه السياسة محاولة لإرضاء جميع الأطراف، وإن كانت لدى البعض الآخر (سياسة متناقضة)[2] الهدف الرئيسي من وراءها ضمان نفوذ واسع قدر الإمكان في منطقة تكتسب أهمية بسرعة بسبب احتياطياتها من الطاقة والموقع الاستراتيجي الرئيسي جنباً الى إعتباره مؤثراً في تقرير مسارات تفاعل بيئة المنطقة، لذا تتمحور الأولويات الروسية هنا حول [3]:

- تعزيز وجودها في قطاع الطاقة.
- نشر قوة عسكرية دائمة في سوريا، وفي مناطق اخرى.
- محاربة التطرف الإسلامي.
- الشراكة الإستراتيجية مع تركيا.
- جعل الوجود العسكري الروسي في المنطقة أكثر كفاءة من خلال مزيج من القواعد الصغيرة والتنقل العسكري.

كان التدخل الروسي في سوريا عام 2015 بمثابة المرحلة الجديدة لتأدية دور أوسع ما مكنها بحيازة مكانة مركزية متزايدة في شؤون توازنات المنطقة[4]، من خلال دعم علاقاتها مع الدول الفاعلة فيها ومنها (مصر) والدور المركزي في سوريا سبيلاً لشغل الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة في المنطقة، وهو ما يفسر لنا الإنخراط الروسي المتزايد[5] في العديد من القضايا ومنها (الليبية)، وهو ما أنعكس في مركزية

---

(1) Russia's Eastern Mediterranean Policy, 111, 22 MAY 2020 Bulletin

(2) Andreas Stergiou, Russian policy in the eastern Mediterranean and the implications for EU external action, (The European Union Institute for Security Studies), July 25,2021.

(3) Marc Pierini, Russia's Posture in the Mediterranean: Implications for NATO and Europe, (Carnegie Endowment for International Peace, Brussels), June08,2021.

(4) Dario Cristiani, Framing Russia's Mediterranean Return: Stages, Roots, and Logics, (The German Marshall Fund of the United States), August18,2020.

(5) Jesús Manuel Pérez Triana, Russia in the Eastern Mediterranean: a Counterweight to the West?, (Barcelona centre for international affairs), 07/2017.

ذلك الدور[1]، ومن ثم عدَها لاعباً متزايد الأهمية في تشكيل ديناميكيات تفاعل البيئة الإقليمية للمنطقة، خاصة وأنها تعمد وفق وجهة نظرنا الى الإبتعاد عن سياسات التنافس التقليدية نحو دور أكثر تأثيراً ضمن إطار توازن المصالح[2] القائم على حملية مصالحها وتعزيزها في المنطقة، وبما لا يتقاطع مع غيرها من القوى الفاعلة.

اندلاع الصراعات في بعض دول شرق البحر الأبيض المتوسط لا سيما في سوريا وليبيا وعدم الإستقرار في العديد من المناطق (فلسطين ولبنان)، وظهور التهديدات غير التقليدية، مثل الإرهاب عبر الحدود والهجرة غير الشرعية ، فضلاً عن تنامي الخلافات بين بعض دولها حول حدودها البحرية ، خاصة بعد الاكتشافات المتتالية لحقول الغاز الطبيعي، إلى جانب الطموحات الإقليمية لبعض الدول من داخل وخارج المنطقة، والتحالفات المتزايدة خاصة في الجانب العسكري من ناحية، وتضاءل الوجود المباشر للولايات المتحدة الأمريكية في شرق البحر الأبيض المتوسط من ناحية أخرى ، مع تنامي السعي الأمريكي لتعزيز محور قبرص ومصر و(إسرائيل) في المنطقة لمواجهة محور تركيا وروسيا، تغيراً جوهرياً في البيئة الاستراتيجية للمنطقة، وتحولها ببطء إلى استقطابات سياسية وعسكرية بمركزية روسية أمريكية،كلها تمثل تحديات ملحة للتوجه الروسي ومكانته في المنطقة، عمدت الى مواجهتها من خلال:

- العمل بشكل أساسي جنبًا إلى جنب مع الإمارات العربية المتحدة ومصر لإدارة التفاعلات في الداخل الليبي، مع ضمان إقامة علاقات جيدة مع جميع الجهات الفاعلة المشاركة في الصراع.
- تعميق العلاقات مع دول المنطقة الأخرى في شمال إفريقيا في أعقاب مؤتمر سوتشي في تشرين الأول 2019 حول العلاقات الروسية الأفريقية ، من خلال تطبيق (استغلال الفراغات الاستراتيجية) – ليس فقط في مناطق الصراع أو مع الحلفاء الروس التقليديين.
- تعزيز العلاقات مع كل من قبرص واليونان بما لا يتقاطع مع مصالح حلفائها في المنطقة.

---

(1) Eugene Rumer, Richard Solosky, Russia in the Mediterranean: Here to Stay, Paper, (The Carnegie Endowment for International Peace, Washington D.C) , MAY 27, 2021

(2) Ruslan Mamedov, Russia:Towards a Balance of Interests in the Eastern Mediterranean,In:Valeria Talbot (Ed),The scramble for theEasternMediterranean.Energy and geopolitics,(Ledizioni LediPublishing, Milan), 2021, PP. 100-110.

الحركة الروسية في شرق المتوسط لا تبتعد في جوهرها عن توجهاتها العامة في منطقة الشرق الأوسط وتقاربها مع إيران وتركيا سبيلاً لمواجهة تطورات التحالفات الإقليمية وسياسات القوى المختلفة فيها، والسعي للربط بين المنطقتين بما يؤمن مكانتها فيهما[1]، ما يمكنها من تأدية دور فاعل ضمن إطار سياسات مواجهة إحتمالات تنامي الدور الأمريكي وتوسع حلف الناتو وسعيهما لإستئثار النفوذ في تفاعلات المنطقة [2] وفرض مشاريعهما المختلفة لغير صالح التوجهات الروسية، وهو مسعىً يمكننا وصفه بكونه يرمي لبناء منطقة نفوذ وتأثير تمتد من الخليج العربي والبحر الأحمر وصولاً الى منطقة شرق المتوسط، لضمان طرق الملاحة البحرية ومسارات أنابيب الطاقة، خاصةً وأن المنطقة تشهد تنامي مشاريع الطاقة ذات الصبغة السياسية لقوى مختلفة التي ترمي من وراءها بناء أجندات إقليمية ترتبط بتوجهاتها في المنطقة، كما تشكل المنطقة نقطة تقاطع لمسارات نقل الطاقة وممرات بحرية إستراتيجية بين (أوربا، الشرق الأوسط وشمال أفريقيا)[3]، فضلاً عن التهديدات الأمنية* المنبثقة عن الأزمة الليبية، الى جانب الدور والتواجد الأمريكي وإن كان متناقصاً في تأثيره[4] ، كل هذا وجد صداه في بلورة دور روسي متزايد في تفاعلات المنطقة قوامه الإنخراط المتزايد في قضايا المنطقة، والتواجد العسكري في العديد من مناطقها.

المطلب الثاني: أهداف التوجه الروسي في شرق المتوسط:

الاندفاع الروسي إلى منطقة شرق المتوسط هو أكثر من مجرد مسألة طموح للاعتراف بها كلاعب عالمي، ولكنه نتاج متطلبات الأمن القومي الدائمة لها ، وتصورات التهديدات المحيطة بها والمصالح الاقتصادية لإستراتيجيتها بصورة عامة.

---

(1) Zenonas Tziarras, The ew geopolitics of the eastern mediteranean– An Introduction, In: Zenonas Tziarras (Ed),The New Geopolitics of the Eastern Mediterranean:Trilateral Partnerships and Regional Security, (Friedrich–Ebert–Stiftung and Peace Research Institute Oslo), 2019, p.5.

(2) الوليد أبو حنيفة، التوجهات العامة الجديدة لسياسة الحارجية الروسية في عهد الرئيس بوتين نجاه منطقة شرق المتوسط، مجلة مدارات سياسية، المجلد 4، العدد 2، 2020، ص،22.

3() إيف لاكوست، الجغرافية السياسية للمتوسط، ترجمة: زهيدة درويش، (أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث)، 2010، ص ص 35–37.

* تنامي عدد الشركات الاهلية الخاصة العاملة هناك، والهجرة غير الشرعية وزيادة تجارة السلاح غير المشروع، الى جانب التدخلات العسكرية من قبل بعض الدول.

(4) Andrew Korybko, The Geostrategic Challenges of Russia's "Ummah Pivot", (Russian International Affairs Council, Moscow), july24,2021.

عُد عام 2014 البداية المميزة لدور روسي متزايد في المنطقة[1] عندما ضمت شبه جزيرة القرم أليها، والذي تزامن مع دخولها في تفاعلات الأزمة السورية عام 2015، ومن ثم أصبح شرق البحر الأبيض المتوسط عنصرًا مهمًا في تحقيق أهداف سياستها الخارجية العالمية، والذي تمخضت عنه العديد من الأهداف التي توخت تحقيقها في هذا التوجه نحو المنطقة أبرزها:

1. كان العنصر الحاسم في توجيه النهج الروسي تجاه المنطقة ولا زال هو سعيها بالوصول إلى ما يسمى "بالمياه الدافئة" في الخليج العربي، والموانئ ذات الصلة في المنطقة، وهو محرك جيوسياسي طويل الأجل للسياسة الخارجية الروسية منذ فترة ليست بالقصيرة، والمنطقة هنا تعتبر جزءٌ أساس لضمان الوصول الى الخليج العربي، وتعزيز ممراتها البحرية وخطوط نقل الطاقة من وإلى المنطقة[2].

2. تعزيز تواجدها الجيوسياسي في شرق البحر الأبيض المتوسط، ما دفعها لإنشاء قاعدتين مهمتين، في طرطوس واللاذقية في غرب سوريا، والسعي للحصول على موطئ قدم في دول أخرى لمزيد من القواعد في شرق المتوسط والبحر الأحمر، خاصةً في ظل تنامي التنافس الإقليمي والدولي حول المنطقتين[3].

3. إستخدام نفوذها في البحر الأبيض المتوسط كوسيلة لتحقيق التوازن واحتمالية إضعاف انخراط الناتو والاتحاد الأوروبي في "الخارج القريب" لروسيا ، كما كان الحال مع جهود موسكو لعرقلة توسع الناتو شرقاً.

4. الحفاظ على مركز مهيمن في توريد موارد الطاقة إلى الاتحاد الأوروبي، وهي تقوم بذلك من خلال إستغلال حقول الموارد وبناء البنية التحتية لنقل الطاقة من وإلى المنطقة وعبرها، وإضعاف المشاريع المتوسطية التنافسية فيها، والتي إتضح أنها غير مؤكدة وغير مربحة مما زاد من الاهمية

---

(1) Ian O.Lesser, The United States and the future the Medtrerranean security:Reflections from GMFS Medeterranean Strategy group, Policy Brief, (The German Marshall Fund of the United States, Washington D.C), April,2015,p.2.

(2) Göktürk Tüysüzoğlu, Power Struggle Focusing on the Red Sea: Causes and Actors, Journal of Middle Eastern Studies, (the Center for Middle Eastern Studies (ORSAM), Istanbul), vol.11,No.4, 2019, PP 328-335.

(3) للمزيد حول هذا الموضوع، يرجى النظر: إلهام الحدابي، البحر الأحمر صراع النفوذ هل يتحول إلى حرب إقليمية؟، أوراق سياسية ،

(مركز الفكر الإستراتيجي للدراسات، إسطنبول)، 2021.

الاستراتيجية لمكانة روسيا في هذا المجال، فضلاً عن مشاركتها في مشاريع استخراج الطاقة والغاز في هذه المنطقة.

5. طموحات موسكو في منطقة شرق المتوسط هي أكثر من مجرد كونها مسألة سعيها لاستعادة مكانتها كقوة عظمى، فهي كذلك نتاج متطلبات الأمن القومي الروسي،لذا تسعى روسيا لتعزيز تواجدها العسكري في جناحها الجنوبي في أي توترات محتملة مع الولايات المتحدة الأمريكية[1]، ومواجهة تحركات الناتو لتطويقه وبناء سلسلة محاور مضادة لتلك التحركات من خلال تعزيز علاقتها مع كل من (سوريا، قبرص، تركيا، ليبيا)، وتوسيع وجود السياسي والعسكري الروسي وترسيخه على الجهة الجنوبية من منطقة "حلف شمال الأطلسي" ("الناتو")، كما هو الحال في (ليبيا).

6. خدمة أهدافها في "الخارج القريب"[2]، خاصةً وأن روسيا تعتبرها ساحة تتنافس فيها مع القوى الأوروبية والولايات المتحدة بعيدًا عن المسرح الأوروبي [3].

7. العمل على تطويق التحركات الأمريكية في الشرق الأوسط والرامية الى تعزيز هيمنتها ونفوذها على حساب باقي القوى الفاعلة الأخرى ومنها روسيا.

التحركات الروسية في منطقة شرق المتوسط تهدف الى خلق منطقة نفوذ وتأثير لها تمتد من سوريا الى ليبيا مروراً بما تتضمنه من دول وطرق بحرية، مما يمكنها من حماية مشاريعها ذات الصلة بالطاقة، وخلق جدار عازل من التاثير بين شمال أفريقيا وأوربا يمكنه من مواجهة تداعيات عدم الإستقرار وإنتشارها في المنطقة، الامر الذي سيجد صداه في الحد من توجهات باقي القوى الفاعلة في المنطقة سبيلاً للتاثير

---

(1) Eugene Rumer, Richard Solosky, Russia in the Mediterranean: Here to Stay, Paper, (The Carnegie Endowment for International Peace, Washington D.C), MAY 27, 2021

(2) الخارج القريب مصطلح متداول في السياسة الروسية حصراً ، وإستخدمه لأول مرة وزير الخارجية الروسي أندريه كوزيريف للتشديد على أحقية نفوذ روسيا في الدول المستقلة عن إنهيار الإتحاد السوفيتي كمجال حيوي لهم، ولاحقا أعلن فلاديمير بوتين أنها الدول المحورية بالنسبة لروسيا، وتُعد إمتدادها الاستراتيجي أو «نطاق تأثيرها»، ينظر في ذلك:

- أنور عبدالملك، عالم جديد: روسيا الخارج القريب، قضايا و اراء، صحيفة الإهرام، (القاهرة، مركز الإهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية)، العدد 43002، 31 آب 2004.
- أنور عبدالملك، الخارج القريب: مدخل الى صحوة روسيا ، قضايا و اراء، صحيفة الإهرام، (القاهرة، مركز الإهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية)، العدد 44083، 3 تموز 2007.

(3) Dario Cristiani, Framing Russia's Mediterranean Return: Stages, Roots, and Logics, (The German Marshall Fund of the United States), August18,2020.

في التوازنات الناشبة في عموم البيئة الامنية للمنطقة، وضمان عدم تهديدها لتوجهاتها، ومن ثم تسعى روسيا إلى مزيد من الوصول وحرية الحركة في منطقة البحر الأبيض المتوسط ، وتعمل على تعزيز وجودها العسكري لتحقيق هذا الهدف[1].

المطلب الثالث: القضايا الموجهة للدور الروسي:

منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط تعتبر من أهم الطرق التجارية و المواصلات البحرية و خطوط نقل الطاقة، وهو ما تزايد في أهميته بالفترة الأخيرة و خاصة بعد أن بدأت مصادر الطاقة و حقول الغاز تظهر واحدة تلو الأخرى بعد عام 2010، ما دفع الدول على إعادة رسم سياساتها و استراتيجياتها في موضوع الطاقة[2]، لذا تفسر لنا قضايا الطاقة والأمن الوجود الروسي المتزايد في شرق البحر الأبيض المتوسط، والذي كانت سمته الأساس سياسة أكثر توازناً للحفاظ على علاقات عدم الانحياز مع دول المنطقة، في ظل بيئة تكتنفها ضغوط متزايدة من قبل باقي الجهات الفاعلة للتحكم بمآلات تفاعلاتها، مما ينعكس (وفق وجهة النظر الروسية)[3] في ضرورة إيجاد توازن في المصالح بين القوى العالمية والإقليمية ، والحاجة إلى استقرار المنطقة، ومن ثم فإن أحد العناصر الرئيسية للسياسة الخارجية الروسية في منطقة شرق البحر المتوسط، هو الرغبة في ضمان تفاعل مستقر مع اللاعبين الرئيسيين في سوق الطاقة، ومن هنا تكتسب هذه القضية بُعداً مهماً في التوجه الروسي نحو المنطقة، خاصةً وان العديد من مشاريع الطاقة المحتملة فيها تواجه العديد من العوائق التي تمنع نجاحها[4]، مما يعزز من مكانة روسيا فيها بما تمتلكه من قدرات وإمكانيات هائلة.

---

(1) Colin P. Clarke, William Courtney, Bradley Martin, Bruce McClintock, Russia Is Eyeing the Mediterranean. The U.S. and NATO Must Be Prepared, commentary,June 30, 2020

https://www.rand.org/blog/2020/06/russia-is-eyeing-the-mediterranean-the-us-and-nato.html

(2) للمزيد حول هذه الإكتشافات ودورها في سياسات دول المنطقة ، يرجى النظر الى : عماد قدورة، السياسة البحرية التركية في المتوسط والتدخل العسكري في ليبيا، دراسات، (الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)، 23 آب 2020، ص ص 6 – 10.

(3) Ruslan Mamedov, Russia Towards a Balance of Interests in the Eastern Mediterranean, Analytics and Comments, (Russian International Affairs Council, Moscow), Augist6,2021.

(4) Andreas Stergeou, Geopolitics And Energy security in the Eastern Mediterranean:The formation of new Energy Alliances, In: Zenonas Tziarras (Ed),The New Geopolitics.., op.cit, p. 24.

أ. **قضايا الطاقة:**

ترتكز توجهات روسيا في المنطقة على مصادر وقضايا الطاقة التي يمكن ان تكون وفق الرؤية الروسية ادوات فاعلة في بناء نفوذ ومكانة متميزة في تفاعلات المنطقة وتغيير موازين القوى فيها[1]، خاصةً بعد أن أصبح لموضوع الطاقة دور مهم في تقرير شؤون تفاعلات المنطقة منذ عام 2009 ، عندما اكتشف الإسرائيليون حقل غاز تمار باحتياطيات مؤكدة تبلغ 280 مليار متر مكعب، ومن ثم اكتشاف حقل غاز ليفياثان الأكبر ، الذي تبلغ احتياطياته 620 مليار متر مكعب، وتلاه اكتشاف حقل أفروديت للغاز في المنطقة الاقتصادية في قبرص ، والذي يضم 120 مليار متر مكعب من الغاز، وبعدها في مصر مع إكتشاف حقل ظهر للغاز باحتياطي 850 مليار متر مكعب من الغاز[2].

يمثل اكتشاف حقول غاز جديدة في البحر الأبيض المتوسط، الى جانب المشاريع المتنافسة ، مثل خط أنابيب الغاز من إسرائيل – إيست ميد – ومن أذربيجان – ممر الغاز الجنوبي (SGC) التي يتم دعم كل منها من قبل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ، ومنتدى غاز شرق المتوسط ، الذي يضم قبرص ومصر واليونان وإسرائيل والأردن وإيطاليا والسلطة الفلسطينية ضمن إطار سياسة يُراد منها الترويج لتنويع موردي الطاقة في أوروبا، في حين أن حقيقتها هي لمواجهة التفرد الروسي في هذا المجال والضغط عليه، وتخفيف الإعتماد الأوربي عليه، وكل هذا يمثل تحديًا لسياسة الطاقة الروسية، ما يمثل حافزاً مهماً لتعزيز التوجه الروسي نحو المنطقة، والذي يعمد في هذا المجال لـ:

- الضغط على أوربا من خلال بناء المشاريع المنافسة لما موجود من أجندات معاكسة لها عن طريق التحكم بمسارات نقل الطاقة الى أوربا (السيل الشمالي، بلو ستريم، وخط السيل التركي ترك ستريم) ، ومن ثم إفشال المشاريع المنافسة في مجال الطاقة، لاسيما وأن شرق البحر الأبيض المتوسط هو الحدود الجديدة للمشاكل التي قد تنشب بسبب الغاز الطبيعي المكتشف بوفرة فيها، خاصةً مع سعي اليونان للتفاوض على إنشاء خط أنابيب شرق البحر الأبيض المتوسط (EAP) مع نيقوسيا والقدس ، والذي سيربط حقول الغاز الإسرائيلية والقبرصية بأوروبا عبر جزيرة كريت والبر الرئيسي لليونان.

---

[1] ناتاليا غريب، إمبراطور الغاز، ترجمة: عمار قط، (القاهرة، مكتبة مدبولي)، 2011، ص، 41.

[2] Anna Manafova, Is the Eastern Mediterranean a New Competitor for Russia on the European Gas Markets? (Russian International Affairs Council, Moscow), September 12, 2016.

– وأنظر كذلك: وسيم خليل، جيوبوليتيك الصراع ودبلوماسية النفط والغاز في الشرق الأوسط،(بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون)، 2019، ص، 246.

- السعي للمشاركة في مشاريع الطاقة الإقليمية من خلال الدخول كشريك فيها[1].

كان البعد الاقتصادي ذات الصلة بقضايا الطاقة للمنطقة يدور في وقت سابق حول السيطرة على البحار لتأمين التجارة والموانئ والجزر على هذا الطريق البحري الدولي، لكن زيادة الأنشطة المختلفة في "المياه الاقتصادية" لشرق المتوسط خلقت منظوراً جديداً للأمن البحري ، بالإضافة إلى كونه بوابة لبناء تكتلات اقتصادية وعلاقات سياسية متعددة الأطراف ، والتي أصبحت حافزاً لإقامة تحالفات جديدة، والتحالفات المضادة التي غيرت الخريطة الأمنية لشرق المتوسط[2]، لذا فإن أحد العناصر الرئيسية للسياسة الخارجية الروسية في منطقة شرق البحر المتوسط هو الرغبة في ضمان تفاعل مستقر مع اللاعبين الرئيسيين في سوق الطاقة [3] ، من خلال [4]:

- تقليل إعتمادها على أوكرانيا لإمدادات الغاز إلى أوروبا الغربية.
- إحباط استراتيجية تنويع الطاقة في الاتحاد الأوروبي.
- إنشاء ممر غاز جديد نحو جنوب شرق أوروبا عبر خط انابيب غاز ترك ستريم.

ما سبق جعل من موضوع الطاقة محل إهتمام متجدد للقوى الفاعلة لضمان مكانتها في المنطقة من جهة، ومواجهة المساعي الروسية لفرض هيمنتها عليها من جهة أخرى، خاصة الدول الأوربية التي تستورد 40% من حاجتها من روسيا[5]، ومن ثم قضية الطاقة ستكون من الشواغل الأساسية لبوصلة توجهات القوى الفاعلة في المنطقة ومنها روسيا، لما يمكن ان يحدثه بيع الغاز إلى إحداث نفوذ في

---

(1) عام 2017 استحوذت شركة Rosneft الروسية المملوكة للدولة على 30٪ من حقل ظهر للغاز المصري، كما فازت الشركات الروسية بعقود أراض لاستخراج واستكشاف النفط والغاز الطبيعي في ليبيا (السارة)، وسوريا (قطعة 7 على الضفة اليسرى لنهري الفرات والثالث والعشرين شمال دمشق)، في مصر ، اشترت روسيا من إيني الإيطالية حصة 30 في المائة في حقل ظهر للغاز البحري ، وهو حقل رئيسي للغاز في شرق البحر المتوسط. وفي لبنان ، استحوذت شركة نوفاتيك الروسية على 20 في المائة من مشروع مشترك للتنقيب عن الغاز تمتلك إيني الإيطالية وتوتال الفرنسية 40 في المائة لكل منهما، ينظر في ذلك:

- Marc Pierini, Russia's Posture in the Mediterranean: Implications for NATO and Europe, (Carnegie Endowment for International Peace, Brussels), June08,2021.

(2) سمية حذفاني، تأثير جيوسياسية النزاع على الغاز في معادلات التوازنات الإستراتيجية لمنطقة شرق البحر المتوسط، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، العمجلد 6، العدد 1، كانون الثاني 2021، ص،650.

(3) Ruslan Mamedov, Russia Towards a Balance of Interests in the Eastern Mediterranean, (Russian International Affairs Council, Moscow), 2021.

(4) Marc Pierini, Russia's Posture in the Mediterranean: Implications for NATO and Europe, (Carnegie Endowment for International Peace, Brussels), June08,2021.

(5) Andrew Moravcsik, Power of connection: why the Russia–Europe gas trade is strangely untouched by politics, (Thane Gustafson Harvard Univ, Press),2020,p,231.

مكانة تلك القوى وهو ما سيجد صداه الإخلال بتوازن القوى الإقليمي الراهن[1]، وإعادة هندسة التحالفات الموجودة فيها.

ب.القضايا الأمنية:

منطقة شرق المتوسط تعرضت الى تحولات عميقة بجميع مستوياتها، إنعكس في تنامي حدة التحالفات الإقليمية والدولية فيها، ومن ثم تغير خريطة القوى والمصالح والمحاور نظراً لسعي كل دولة الى زيادة قوتها ومكانتها هعلى حساب غيرها نم الدول الأخرى، ما ساهم في تغير الترتيبات الأمنية وتشكيل توازنات ذات محتوى وصبغة أمنية وعسكرية.

إكتشاف الغاز في المنطقة بوفرة، وجد صداه على الجانب الأمني لمعادلة تفاعلات البيئة الإقليمية من خلال إعادة إحياء العديد من الخلافات القديمة بين دول المنطقة (تركيا واليونان)، وتنامي صراعات جديدة لفاعلين جدد ومحاور مختلفة[2]، وهو ما دفع بعدد من القوى الصاعدة الى ممارسة دور جيواستراتيجي جديد إنعكس على إستقرار معادلة الامن الإقليمي وتصاعد وتيرة سباق التسلح في المنطقة لمعظم قواها الفاعلة[3]، وهو ما وجد صداه في توترات جديدة كان من ملامحها الأولى سباق تسلح بحري متزايد، صاحبه إعادة إحياء لخلافات قديمة[4] بين دول المنطقة.

على الرغم من أهمية الطاقة بالنسبة للتوجهات الروسية في المنطقة، إلا أن القضايا الجيوسياسية والأمنية عززت من ذلك التوجه بصورة أكبر، إذ في النصف الثاني من عام 2010 ، أصبحت الحاجة إلى الرد على التهديدات الإرهابية من الشرق الأوسط واضحة، وهو ما تزامن مع تدهور العلاقات بين روسيا وحلف شمال الأطلسي ، وخاصة الولايات المتحدة ، مما تطلب الحاجة إلى إظهار القدرات الروسية

(1) Emmanuel Karagiannis, The Coming Naval Arms Race in the Eastern Mediterranean, Commentary, (Royal United Services Institute, London), 22 July 2021.

(2) Tziampiris, Aristotle, The New Eastern Mediterranean as a Regional Subsystem, in: Spyridon N. Litsas , Aristotle Tziampiris (Eds), The New Eastern Mediterranean: Theory, Politics and States in a Volatile Era, (London: springer), 2019,p.6.

(3) Thanos Dokos(ed), The Eastern Mediterranean in 2020: Possible Scenarios and Policy Recommendations, policy paper, (Greece Hellenic Foundation for European & Foreign Policy, greece), No,26, 2016, p,5.

(4) Emmanuel Karagiannis, The Coming Naval Arms Race in the Eastern Mediterranean, (Royal United Services Institute, London), 22 July 2021

وتكثيف وجودها العسكري، وهو ما عززته روسيا بعلاقات عمل واتصالات مع القوى الإقليمية لترسيخ مكانتها في المنطقة[1].

واحدة من أكبر المشاكل في المنطقة هي أن الاختصاص البحري للدول لم يتم تحديده بشكل كامل، إذ لا توجد سلطة قضائية ملزمة بين البلدان الساحلية يمكنها تحديد الولايات القضائية البحرية، وهو ما يتم تفسيره وفقاً للإتفاقيات البحرية بين تلك الدول، إذ وقعت الإدارة القبرصية اليونانية اتفاقيات المنطقة الاقتصادية الخالصة (EEZ) مع مصر في 2003 ، ولبنان في 2007 ، وإسرائيل في 2010، ولا تزال اليونان والإدارة القبرصية اليونانية ومصر تجري محادثات حول المنطقة الاقتصادية الخالصة بينهم[2] .

التداعيات الأمنية على التحركات الروسية في منطقة القرم والبحر الأسود، والقضايا الخلافية في علاقات العديد من القوى الفاعلة، والأزمات المستمرة في المنطقة كلها دفعت روسيا لتعزيز توجهاتها، بالتزامن مع سعيها لـ:

- إدامة طرق المواصلات البحرية من وإلى البحر الأسود وبالأخص العسكرية منها.
- الضغط على منافسيها المحتملين في التفاعلات الإقليمية.

المصالح سابقة الذكر ذات صلة وثيقة بموضوع الطاقة وتزايد أهميتها كمحرك فاعل لتفاعلات المنطقة وشؤون توازناتها[3]، ما يعزز من التوجه الروسي فيها.

التوجهات الروسية تعتبر المنطقة واحدة من أهم المناطق لها وفق الصيغة الأمنية، خاصةً وأن الكثير من الدراسات تشير الى انها ستكون محوراً للصراع بين القوى الكبرى في المدة المقبلة[4]، ومن ثم تتميز الحركة الروسية هنا بمكانتها المركزية بسبب موقعها الجغرافي بتوسطها بين (البلقان واسيا الوسطى ومنطقتي الشرق الأوسط وقزوين) اللتان تعدان مركزاً لمصادر الطاقة المهمة، وأهميتها لعموم المنظومة الأمنية الإقليمية، التي لا يمكن التغاضي عنها في الحسابات الإستراتيجية لباقي القوى الفاعلة في المنطقة، خاصةً وأن العديد من تلك القوى تسعى للعمل على تقليل إعتماد حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة على محورية الدور الروسي في موضوع الطاقة الإقليمية وأهميته لدعم دورها في هذا المجال، وهو ما أنعكس في خلق تكتلات جديدة ذات صبغة امنية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والبحر

---

(1) Ruslan Mamedov, Russia Towards a Balance of Interests in the Eastern Mediterranean, (Russian International Affairs Council, Moscow), 2021.

(2) Mahmut Sami Söylemez, Turkish and Russian Approaches to Security in the Eastern Mediterranean, (Russian International Affairs Council, Moscow), November 10, 2020.

(3) Tolga Demiryol, Natural gas and geopolitics in the Eastern Mediterranean, 2020,September 07.

(4) James Stavridis, (2013), Flash Point in the Eastern Mediterranean, Foreign Policy.

المتوسط، وهو ما يتزامن طموح العديد من دول المنطقة وغيرها لتأدية أدوار جديدة في المنطقة ما يثير التساؤلات حول مستقبل التنافس في المنطقة في ظل التوترات الراهنة، لذا دخلت هذه المنطقة في مرحلة أكثر تعقيداً وتصعيداً بين أطرافها، خاصة مع تشكيل منتدى غاز شرق المتوسط عام 2018 الذي يضم كل من (مصر، اليونان، قبرص، إيطاليا، اليونان، إسرائيل، الأردن وفلسطين)، لغرض إحداث توازن جيوسياسي جديد في المنطقة يمنع تركيا من تحقيق مساعيها للهيمنة على غاز المتوسط ومن ثم التحكم في أمن الطاقة لدول شرق المتوسط وكذلك دول الاتحاد الأوروبي[1].

وبناءاً على ما تقدم يمكننا القول، أن نهج موسكو في شرق البحر الأبيض المتوسط يعتمد على الواقع الجديد لتفاعلات أطراف البيئة الإقليمية التي هي في حالة صيرورة لنمط يختلف عما كان سائدً في المراحل السابقة، والتي وصفها البعض بكونها في (مرحلة انتقالية من شخصية مركزية أوروبية إلى شخصية شرق أوسطية)[2] بعد ان شهدت تفاعلات المنطقة دخول العديد من الاطراف الجُدد الى معادلة تفاعلاتها في الآونة الأخيرة، ما حفز التوجهات الروسية نحو المنطقة خاصةً وأنها تشعر بأنها قادرة ليس فقط على المشاركة في هذا التغيير ولكن أيضًا على قيادته، وفق منطق جديد لا يعتمد على سياسات التنافس التقليدي بل على توازن مصالح القوى الفاعلة فيها.

الخاتمة:

التوجه الروسي في البحر الأبيض المتوسط يُعد جزءًا من حركتها العالمية، المتجذرة في التنافس مع الولايات المتحدة ، واستعادة موقع متميز في مواجهة الاتحاد الأوروبي ، لذا تعمد الى تعزيز توجهها في المنطقة من خلال بناء علاقات جديدة مع دولها تضمن لها التأثير والنفوذ في معادلة التفاعلات المختلفة، في مسعىً يمكننا وصفه بكونه يرمي لبناء منطقة نفوذ وتأثير تمتد من الخليج العربي والبحر الأحمر وصولاً الى منطقة شرق المتوسط، لضمان طرق الملاحة البحرية ومسارات أنابيب الطاقة، خاصةً وأن المنطقة تشهد تنامي مشاريع الطاقة ذات الصبغة السياسية لقوى مختلفة التي ترمي من وراءها بناء أجندات إقليمية ترتبط بتوجهاتها في المنطقة.

---

[1] ريم عبد المجيد،(2020)، إتفاق شرق المتوسط .. الدلالات والتداعيات على تركيا، تقديرات موقف، (القاهرة، المركز العربي للبحوث والدراسات).

[2] Andrey Chuprygin, Russia in Libya and the Mediterranean, (Russian International Affairs Council, Moscow), July29,2021.